العرب
الخميس 2019/12/26
السنة 42 العدد 11568

المغاربة يحصدون نصف جوائز ابن بطوطة لأدب الرحلة في دورة 2020

الدورة تميزت باتساع المشاركات في حقل دراسات أدب الرحلة

يعتبر أدب الرحلات من أهم الفنون العربيــة التــي أوجــدت نوعا من التواصل الخلاق بين الأنا والآخر، كمــا مثلت نصوص رحليــة كثيرة مادة تاريخية ثرية من خلالها يمكن اكتشــاف عوالم جديــدة ومختلفة، وإن خبا حظ أدب الرحلات فإنه عاد مؤخرا لينال المكانة التي يستحقها من خلال تخصيــص جائزة هامة له تحت عنــوان "جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة".

أبوظبي – أعلن المركز العربي للأدب الجغرافي عن أســماء الفائزين بجائزة ابــن بطوطــة لأدب الرحلة فــي دورتها الثامنة عشرة.

وتوج بالجائزة، التي ينظمها سنويا المركز العربي للأدب الجغرافي – ارتياد الآفــاق فــي أبوظبــي ولنــدن ويقدمها لأفضل الأعمــال المحققة والمكتوبة في أدب الرحلة، مصري وعراقي وتونســي وسوري وأربعة مغاربة.

متوجون متنوعون

وقد بلغ عدد المخطوطات المشاركة هذا العام 53 مخطوطة جاءت من 9 بلدان عربية، توزعــت على الرحلة المعاصرة، والمخطوطــات المحققــة، واليوميات، والرحلــة المترجمة. وقد نُزِعَتْ أســماءُ المشــاركين مــن المخطوطَــات قبــل تسليمها لأعضاء لجنة التحكيم لدواعي السريّة وســلامة الأداء. وجرت تصفية أولى تم بموجبها استبعاد الأعمال التي لم تستجب للشروط العلمية المنصوص عنها بالنسبة إلى التحقيق، والدراسة، أو ما غاب عنه المســتوى بالنسبة إلى الجائــزة التي تمنحها الــدارة للأعمال المعاصــرة. وفي التصفيــة الثانية بلغ عدد المخطوطــات 19 مخطوطة ليختير من بينها الفائزون.

الفائزون سيتم تكريمهم في احتفال خاص يقام في مدينة الدار البيضاء المغربية، منتصف شهر فبراير المقبل

فــي صنــف "النصــوص الرحليــة المحققة"، نال الجائزة الباحث المصري محمــد فتحي الأعصر، عن تحقيق كتاب "النحلة النصرية في الرحلة المصرية"، لمصطفى البكــري الصديقي، والباحث التونســي محمــد الزاهي، عــن تحقيق كتاب "رحلة محمد أفندي إلى فرنســا"، المعروف بـ"يكرمي سيكيز".

وتــوج الكاتب والروائــي المغربي أحمــد المدينــي بالجائــزة فــي صنف الرحلة المعاصرة "الســندباد الجديد"، عن كتابه "مغربي في فلسطين.. أشواق الرحلة المغربية"، بينما هيمن المغاربة علــى الجائــزة فــي صنف الدراســات، حيث آلت إلى كل من أيوب بن مســعود عن دراســته حول "تداخل الأجناس في أدب الرحلــة" ومحمد حاتمي، الذي قدم دراســة أخرى عن "المعرفي والأدبي في الرحلات المغربية".

في فــرع "اليوميات"، كانت الجائزة من نصيــب العراقــي فاروق يوســف، عن كتابه "شــاعر عربي فــي نيويورك.. على خطــى فدريكو غارســيا لوركا في مانهاتــن". أمــا جائــزة فــرع الترجمة فعــادت للكاتب الســوري أمارجي، عن ترجمة كتاب "نحو مهد العالم.. رســائل من الهند" لجويدو غوتسانو.

وســيتم تكريم الفائزين في احتفال خــاص يقام فــي مدينة الــدار البيضاء المغربيــة، وتســتضيفه وزارة الثقافة والشــباب والرياضــة فــي المغــرب، منتصــف شــهر فبرايــر المقبــل، ضمــن الفعاليــات الكبــرى للمعــرض الدولــي للنشــر والكتــاب فــي الــدار البيضاء.

كمــا يشــهد الاحتفال تنظيــم ندوة حــول أدب الرحلــة والأعمــال الفائزة، بمشــاركة المتوجين بالجائزة وأعضاء لجنــة التحكيــم، إلى جانــب نخبة من الدارسين.

تشــكلت لجنة التحكيم من الدكاترة خلــدون الشــمعة وعبدالنبــي ذاكــر وعبدالرحمــن بسيســو وأحمد برقاوي والأســتاذ مفيد نجم أعضاء، والدكتور عــواد علي مقــررا. وهي اللجنــة التي نوهــت بأعمال أخرى تتبنى الجائزة تم نشرها خلال العام 2020.

ففي صنف الدراسات، نوهت اللجنة بكتاب "رحلة محمــد الصفار نموذجا" لأحمــد المريني. أما في صنف الترجمة فنوهــت اللجنــة بترجمة أميمة قاســم وسماح جعفر لكتاب "قمم غير موطوءة وأودية غير مطروقــة" لإيميليا إدواردز. وفــي أدب اليوميــات، كان التنويه من نصيــب كتــاب "يوم واحد بين دمشــق ونيويورك" لأكرم قطريب. وفي صنف الرحلة المعاصــرة، نوهت اللجنة بكتــاب "أنفــاس الجغرافيــا" لمحمد شــوكية، و"بلاد حكت لــي أســرارها.. مغامــرة تسع نســاء في حضارة الإنكا" لمنى الوزان.

المغرب في الصدارة

تواصــل جائزة ابــن بطوطــة لأدب الرحلــة عنايتهــا بالأدب الجغرافــي، منــذ دورتها الأولــى التــي انطلقت مطلع ســنة 2003، ويرعاها الشــاعر محمد أحمد الســويدي إلى جانب عــدد مــن المشــروعات التنويريــة الورقية والإلكترونية تحت مظلة "دارة الســويدي الثقافية". بينما يشرف على الجائــزة مدير عــام المركــز العربي لــلأدب الجغرافــي الشــاعر نــوري الجراح.

عن دورة هذه الســنة، أكد الشاعر نــوري الجراح، مدير عــام المركز العربــي لــلأدب الجغرافــي والمشــرف علــى الجائــزة، في تصريح خــاص، أن هذه الدورة قد "تميزت باتســاع المشاركات في حقل دراسات أدب الرحلة، علــى العكــس ممــا حــدث في الــدورة الســابقة حيث حجبت جائزة الدراسات لعدم كفاءة النصوص المشاركة".

وأضــاف الجــراح أن الجائــزة قد "عبــرت هــذا العام، كمــا فــي أعوامها الســابقة عن اســتمرارها في الكشــف عن الجديد في بــاب اليوميات والرحلة المعاصرة، لتضيــف النصوص الفائزة إلى كوكبة الرحالة المعاصرين مغامرين جــددا، وإلى أدبــاء هذا اللــون الأدبي الممتع أسماء جديدة".

وأشــار إلى أن الرحلتين المحققتين هذا العام تعودان إلــى النصوص التي كتبــت فــي القــرن الثامن عشــر؛ رحلة منهما في ديار المشــرق العربي، ورحلة في اتجاه أوروبا. كما نبه المتحدث إلى أن الدارسين المغاربة كان لهم الحضور الأبــرز هــذا العام فــي الجائــزة، حيث "عاد المغرب ليتصــدر من خلالهم موقع الصدارة في جوائز هذا العام"، على حد تعبيره.

باحثون وكتاب عرب على خطى ابن بطوطة

المركز العربي للأدب الجغرافي يعلن عن أسماء الفائزين بجائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة والتي شاركت فيها 53 مخطوطة

وتصــدر الأعمــال الفائزة عــن "دار السويدي" في سلاســل "ارتياد الآفاق" للرحلــة المحققــة والرحلــة المعاصرة "ســندباد الجديد"، والرحلــة المترجمة واليوميــات، وذلــك بالتعــاون مــع "المؤسســة العربية للدراسات والنشر" فــي بيــروت. أمــا الرحلــة المترجمــة والأعمــال المنــوه بهــا من قبــل لجنة الجائزة مــن يوميات ورحلات فتنشــر بالتعاون مع "دار المتوسط" في ميلانو الإيطالية.

أهمية أدب الرحلة

تؤكــد المشــاركات المتنوعة تزايد الاهتمــام المتزايــد بــأدب الرحلة من قبل الباحثين والأدباء العرب، إلى جانــب إقبال الكتاب الجدد على كتابة يومياتهم في السفر، كما نشطت الأكاديمية العربية في تقديم دراســات جــادة في هذا اللــون الأدبي الممتع والخطير.

وهــو ما يكشــف بصــورة جلية أولا عن الدور المتعاظم للجائزة ولمشــروع "ارتيــاد الآفاق" في تشجيع الأدباء والدارسين العرب، وحضهم على تطوير البحــث والكتابة في هذا المضمار، وثانيا عن تلك الاستجابة التي عبر عنها الباحثون في رفد مكتبة التحقيق والبحث فــي أدب الرحلــة وتطوير صيغ تواصــل عمليــة مع "مشــروع ارتيــاد الآفــاق" وجائــزة ابن بطوطة.

تعتبر الكتــب المتوجة هذا العام حصــادا معرفيــا وفيرا، يرفد خزانــة أدب الرحلة العربي بالمزيــد مــن الكتابــات المهمــة، والتــي تركــز حضــورا يــزداد أهمية وتألقــا لأدب الرحلــة فــي مكتبة الأدب العربــي، حيث عاد هــذا الجنس الأدبي ليستميل الكتاب والباحثين العرب، لما له من قيمة معرفية وفكرية وجمالية.

بورديو الغائب الحاضر

"محادثــات مع بورديو" كتاب جديد لعالم الاجتمــاع الإنجليزي ذي التوجه الماركسي مايكل بورَوايْ يناقش فيه أفكار عالم الاجتماع الفرنسي الراحل، ويفتح أبواب حوار مثمر بين تقليدين من تقاليد البحث الأكاديمي.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

ككل مفكر مثير للجدل، لا يزال إرث عالم الاجتماع الفرنسي الشهير بيير بورديو، بعد رحيل صاحبه بنحو ثمانية عشر عاما، محل خلاف حول وجاهته العلمية. فبعض الدارسين يمجّده حدّ التقديس، وبعضهم الآخر ينتقد أساليبَ بحثه والنتائج التي أفضى إليها، ولاسيما نظريته الشاملة عن المجتمع المحكوم بإعادة إنتاج النظام الاجتماعي. وبعد كتاب "بورديو – بنيوية بطولية" لتلميذه جان لويس فابياني، صدرت الطبعة الفرنسية لكتاب "محادثات مع بورديو" لعالم الاجتماع الإنجليزي مايكل بورَوايْ، الذي درّس في بيركلي وشغل منصب رئيس الجمعية الأميركية لعلم الاجتماع ثم الجمعية العالمية لعلم الاجتماع.

نذكر أن فابياني عاب على بورديو عدم تسلحه بما يكفي لتحقيق مطامحه، إذ كان يريد أن يقارب المجتمع في كليته، ولكنه اختار إجراء تحاليل ذات طابع ضيّق لا تسمح بالتعميم، كحقل الأدب أو الفن، وكان يطمح لتفسير الأواصر التي تربط متغيرات كثيرة، ويدافع عن مقاربة علائقية للمظاهر الاجتماعية، إلا أنه لم يتوصل إلى تأصيل تحاليله في بُعدها التاريخي، ولم يشأ أن يطور هذا المنحى، نتيجة انشغاله بمطمحه الأساس، أي الإحاطة بالمجتمع في شموليته.

أما بورَوايْ فقد اختار أن يتقمص إهاب مجموعة من المفكرين الماركسيين أمثال أنطونيو غرامشي، وفرانز فانون، وباولو فريري، وسيمون دي بوفوار، وماركس بطبيعة الحال، لمحاورة عالم الاجتماع الفرنسي بلا مجاملة. وينطلق النقاش منذ التوطئة، التي عنوانها "بورديو يلتقي بورديو"، وتشمل تعليقا حول شريط وثائقي عن علم الاجتماع بوصفه "رياضة للقتال" كمبدأ نظري وسياسي في الوقت ذاته، ما يدفع بورَواي إلى التساؤل: "إن كان الأمر كذلك فأين المقاتلون؟" ثم البحث عن هذا النوع من القتال في أعمال بورديو، قبل أن يفسح المجال للمقاتلين الذين اختارهم بنفسه للكشف عن التناقضات التي تشوب واقعا سوسيولوجيا يدّعي القتال.

وبما أن بورديو في نظره لا يستطيع أن يتبين غير القبول العام للنظام الاجتماعي، فكيف يمكن أن يقف إلى جانب المهيمَن عليهم؟ وكيف يمكنه أن يجعل من الدفاع عن استقلالية حقلَي المدرسة والثقافة في صميم جهازه السياسي، والحال أنه جعل منهما مولّدَي إعادة إنتاج التفاوت؟ وأي صدقية نعطي مفكرَ التأمل التصوري وهو نفسه لم يستعمله إلا قليلا في علمه؟ هذه المفارقات الثلاث تضع إطار المحادثات التي لا ترمي إلى "الانتصار" كما قال المؤلف، بقدر ما تهدف إلى فهم أفضل لحدود التأكيدات والممكنات والأطر التي تدافع عنها.

لئن كان لبورديو نفس نفور ماركس من المثالية، ونفس اهتمام غرامشي، وفريري، ودي بوفوار بأشكال الهيمنة، ونفس تحليل فانون للعنف الكولونيالي، فإن فكره لا يرقى إلى فكر أولئك المفكرين إذا تركنا جانبا مسألة إعادة الإنتاج الاجتماعي. فبورديو، بانغلاقه في نظرية "الهابيتوس" والحقول، يعجز عن تقدير مركزية الاقتصاد في بنية العلاقات الاجتماعية كما فعل ماركس. وإذا كانت الرأسمالية تنتج الهيمنة، فإن المهيمَن عليهم يقبلون بذلك عن وعي وتدبّر، كما قال غرامشي. والفرق هنا، كما يقول بورَوايْ، أن غرامشي يلمس نوعا من الحكمة في أوساط الطبقات الشعبية، كقوام للوعي الطبقي، في حين أن بورديو ينكرها.

نجد هذا الإنكار للقدرات السياسية للخاضعين أو المرؤوسين في تحليله لطبقة المزارعين الجزائريين في خلاف مع رؤية فرانز فانون. كما تقف بيداغوجيا المضطهدين لدى فريري في طرفي نقيض من المقاربة العقلانية للتربية التي وضعها بورديو وجان كلود باسرون في كتابهما "إعادة الإنتاج. في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم".

ولا يقنع بورَواي بتفنيد موقف بورديو الذي يعتقد أن الخاضعين سيضطرون إلى الامتثال لطبيعة الأمور، بل يؤكد أن الهابيتوس ليس مصطلحا علميا، بل هو مفهوم متداول يغلفه اسم لامع، ولم يُقم الدليل إطلاقا على خصائصه العلمية. والدليل في اعتقاده ديمومة المواقف العمالية تجاه الإنتاج، كتجربة الورشة التي لا يعنيها الهابيتوس في شيء، وبصورة أشمل انتصار الرأسمالية على المنظومة السوفييتية، فمثال الأول قادر على خلق "خداع" عن أشكال مشروعية الاستغلال الذاتي، بينما المثال الثاني، كضحية إفراط في الشفافية، لا يفلح، وينساق إلى الفشل.

هذا النقاش قاد بورَواي إلى الإفصاح عن نقطة من أهم النقاط التي تضمنها الكتاب، ونعني بها مسألة "السوسيولوجيا العامة"، فبعد أن كان علم الاجتماع النقدي محصورا في الوسط الأكاديمي، حاول بورواي أن يقتحم الحلبة العامة، من خلال ترجمة السوسيولوجيا المهنية إلى لغة في متناول الجميع، وكذلك عبر إطْلاع الجماهير بحصيلة أبحاثه، أي بالتحاور معها. وهي دعوة غرامشية تلتقي بدعوة الأميركي تشارلز رايت ميلس إلى "الخيال السوسيولوجي"، أي الاعتراف بقوى عاملة أوسع وحصر أبعادها.

بيير بورديو بعد رحيله بنحو ثمانية عشر عاما، ما زال فكره محل خلاف كبير حول وجاهته العلمية

والخلاصة أن في الكتاب تحاملا شديدا على بورديو، ومغالطات كثيرة، نذكر منها زعمه أن نشاط بورديو كانت الغاية منه الدفاع عن الاستقلالية النسبية لأفضية الإنتاج الفكري، والحال أن التزام عالم الاجتماع الفرنسي قديم، وإن بلغ أوجه خلال التسعينات، فقد كان من الساعين الجادين إلى تأسيس حركة اجتماعية أوروبية، ما جعله قبلة سهام العاملين في الحقل السياسي والإعلامي حتى اليوم. أما عن نبذه المثقفين العضويين، فمردّه إلى رفضه كل أشكال "النطق الرسمي"، وإيثاره الإسهام في الجدل العام، رغبة منه في وضع رأسماله الرمزي في خدمة النضالات الاجتماعية والنقابية.

بورديو يتعرض للمغالطات